

براعة الاستهلال في فواتح السور الشرطية

تاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٣/٧/٧

تاريخ تسلّم البحث ٢٠٠٣/١/٢٩

يوسف القماز*

Abstract

This study seeks to limit the Koranic surats that begin with conditionals and analyse them at three levels: syntax, rhetoric and statistics.

The present study has been able to sort out some stylistic consideration relevant to what critics and people of rhetoric call admirable beginnings and creative inception. It has also been found that such surats highly prefer such beginnings since the latter are appropriate for content of such surats, and are connectors among different surats in addition to their syllables and finals. All of these findings cast light on the rhetorical aspects of koranic styles.

ملخص

تعتمد هذه الدراسة إلى استقصاء السور القرآنية ذات المطالع الشرطية، وتحليلها في ضوء مستويات ثلاثة: النحوي، والبلاغي، والإحصائي، وقد أفرزت هذه الدراسة الاعتبارات الأسلوبية الخاصة في مثل هذا الاستخدام المسمى عند النقاد والبلاغيين بحسن الابتداء وبراعة الاستهلال، وتبين من خلاله مدى تعشق تلك السور إلى مثل هذه المطالع، مع ملامتها التامة لمضامين الخطاب في تلك السور، بله المقاطع والخواتيم، بالإضافة إلى كونها عوامل ربط بين السور، رافدة بذلك معطيات الإعجاز القرآني في جوانبه الأسلوبية.

المقدمة: براعة الاستهلال لغة واصطلاحاً:

إن طبيعة الحديث عن قضايا هذا البحث تستدعي الوقوف على الأسس النظرية لبراعة الاستهلال من حيث الأصل اللغوي والاستعمال الاصطلاحي لهذا التركيب الإضافي، فالبراعة: مصدر برع وهو التفوق في العلم وغيره، والتمام في كل فضيلة وجمال^(١)، وبرع الجبل: علاه، وكل مشرف بارع، وتقول: ما رأيت أبرع منه ولا أبداع منه^(٢). أما الاستهلال فهي من هل (بالتشديد) وهل المطر: اشتد انصبابه كأنهل واستهل، واستهل الصبي: رفع صوته في البكاء، وكذا كل متكلم رفع صوته أو خفضه، والهلال غرة القمر وأول المطر^(٣) ومن المجاز: ما أحسن مستهل قصيدته أي مطلعها^(٤).

* كلية الشريعة/ قسم الفقه وأصوله.

مما سبق نخلص إلى أن معنى هذا المركب هو: التفوق والتميز في البدء والافتتاح. أما المعنى الاصطلاحي، فالناظر فيه يجده لا يبعد عن المعنى اللغوي، وأن ثمة وشائج بينهما فهو عند البلاغيين: (أن يأتي الناظم أو النثر في ابتداء كلامه ببينة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده)^(٥). وهذا التعريف هو أقرب التعريفات لما جاء عن ابن قيم الجوزية فقد عرفه «أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاما دالا على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه»^(٦).

تسميات براعة الاستهلال:

أما مسميات هذا الفن، فقد عني كثير من الدارسين -على اختلاف مشاربهم- بمسألة براعة الاستهلال تحت مسميات وعنوانات مختلفة كالمطالع، والابتداءات، وحسن البدء، والفواتح، والمقدمات، والمبادي وغيرها، وأكثرها شيوعا في الاستعمال عند البلاغيين مصطلح (حسن الابتداء) وعدوه لونا من ألوان البلاغة العربية، ونظموه في سلك علم البديع وهو العلم الثالث من علوم البلاغة بعد علم المعاني وعلم البيان.

أهمية براعة الاستهلال:

أما أهميته، فلا أحد من أهل العلم أو الأدب يستطيع إنكار أهمية حسن الابتداء وبراعة الاستهلال، فقد حاولوا استنباط ما فيها من محركات النفس ومثيراتها ومهيجاتها، وجهدوا في وضع اليد على مكانم الجودة فيها من حيث ذاتية المطالع ووشائج ربطه وعلاقاته بما يليه من العرض ثم الخواتيم. على أن هذا الاهتمام لم يقف عند فترة زمنية واحدة بل نجده متناثرا على رقعة العصور الأدبية. وتكمن أهمية براعة الاستهلال في لغة الخطاب أيضا، بوصفها أول ما يطرق ذهن السامع من الكلام، وقد أدرك المتكلمون أهمية ذلك منذ أن نشأ فن الخطاب والكتابة وكان هناك مرسل ومستقبل، من أجل ذلك وضع أهل النقد والبلاغة معايير كثيرة تضبط جودة المطالع والمقاطع، وتحدد علاقة ذلك بالموضوع والعرض والخاتمة، وقد عني العرب بهذه الأمور، وصبوا جل عنايتهم في الحديث عن معايير الجودة في أجزاء الخطاب ومنها المطالع. وحتى يستطاع جذب انتباه السامع، يتخير المرسلون أنجع المقدمات وأكثرها حيابة لعنصر التشويق لتشنيف أذان المستقبلين لجعلهم يستمرون

في متابعة الخطاب إلى نهايته، ويتبلور ذلك بوضوح في اتخاذ عنصر المرأة مفتتحاً للقوائد الشعرية باعتبارها عنصر جذب فعال؛ فمما لا شك فيه: أن عنصر المرأة قديما وحديثا يعني الكثير بالنسبة للمستمعين، فلا غرو أن نجد إذن استقرار القصيدة العربية القديمة على هيكلية تتخذ من المرأة مطلعا جذابا سواء أكان ذلك لاعتبارات حسية في المرأة، أو لعلها رمزا دينيا -كما يرى الدكتور نصرت عبد الرحمن-(٧) وشواهد ذلك في القوائد الجاهلية وفترة صدر الإسلام والعصر الأموي، وحتى في عصرنا الحديث- كثيرة(٨). وإذا كان استهلال القوائد بعنصر المرأة يعد أمرا جذابا عند الحسين، فإن هناك من يعد الاستهلال بما يوقض الفكر والروح أكثر جاذبية وأكثر ديمومة في النفس، خاصة عند أهل الفكر.

براعة الاستهلال في المصادر العربية:

ومن دلائل اهتمامات النقاد والكتاب بهذا الموضوع توافر المقولات عنه في ثنايا المؤلفات مع اختلاف التسميات، من ذلك: ما جاء عن ابن المقفع: «... وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك» ومعنى ذلك: «أن يكون في فاتحة كلامه ما يشير إلى غرضه»(٩)، ويفسره الجاحظ بقوله: «كأنه يقول: فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد... حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معنائه، ولا يشير إلى مغزائه، وإلى العمود الذي عليه قصدت، والغرض الذي إليه نزلت»(١٠). وينقل عن شبيب بن شيبعة(١١) قوله: «الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه...»(١٢)، وفيه يقول الجاحظ: «كان شبيب قد ابتداء بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل وقت يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره»(١٣) وقد جعل ابن المعتز الاهتمام بالمقدمات والمطالع النوع الثالث عشر من المحسنات البديعية في كتابه (البديع) وسماه حسن الابتداءات(١٤) وذكر منها في الشعر قول النابغة الذبياني: (١٥)

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطيء الكواكب.

وفي حلية المحاضرة مجموعة من الابتداءات الشعرية التي حكم لأصحابها ببراعة الاستهلال من ذلك قول أوس بن حجر: (١٦)

أيتها النفس أجملِي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا
إن الذي جمع الشجاعة والنجدة والحزم والندى جمعا
الألعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فقد قيل: «لم يبتدئ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتداء به؛ لأنه افتتح المراثية بلفظ نطق به على المذهب الذي ذهب إليه منها في القصيدة فأشعر بك بمراذه في أول البيت.»^(١٧) ويقول صاحب الإيضاح: «ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون أعذب لفظا، وأحسن سبكا، وأصح معنى. الأول: الابتداء؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا، أقبل السامع على الكلام، فوعى جميعه؛ وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن»^(١٨).

ويسمونها (أى: الابتداءات) ببراعة الاستهلال؛ قال الخطيب القزويني: «وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى براعة الاستهلال كقول أبي تمام يهنئ المعتصم بالله بفتح عمورية، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تفتح في ذلك الوقت:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائف في متونهن جلاء الشك والريب»^(١٩).

ويسميه الثعالبي في اليتيمة (بحسن المطالع والمبادي) ويعقد في ذلك فصلا يبين فيه الحكم على ابتداءات المتنبي من حيث الحسن أو القبح، فمن الحسنة قوله:

أظنني من زلّة أتعّب قلبي أرق عليك مما تحسب»^(٢٠)

أما ابن قيم الجوزية، فقد تحدث مطولا عن جودة الابتداء وسماها: حسن المطالع والفواتح، وعدها دليلا على جودة البيان وبراعته، وطريقا إلى بلوغ المعاني أذهان المتلقين باعتباره أول ما يقرع آذانهم من الكلام، وهو أول ميادين جولان العقل المتدبر، مقسما الابتداءات إلى خفية وجليّة، ومطبعا ذلك على آيات من الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى في مطلع سورة الفاتحة: «الحمد لله رب العالمين» وقوله تعالى في مطلع سورة الملك: «تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير» ويعده من حسن المطالع الجلي، مشيرا إلى أن أكثر مطالع القرآن من هذا النوع، ويمثل

للخفي بقوله تعالى من سورة البقرة: (الم * ذلك الكتاب)^(٢١)، وينسحب ذلك (أي: الخفي) على ما يجري مجرى هذه السورة من الافتتاح بالحروف المقطعة سواء أكانت فردية مثل: (ق * ن * ص) أو مركبة مثل: (الر * حم * طه)...الخ. ويفرد الحديث عن براعة الاستهلال ويعرفه -كما سبق- بقوله: «أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاما دالا على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالا على انتهائه... ومنه قوله تعالى في سورة الروم: (الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفغلبون)^(٢٢)... ومنه في القرآن كثير، وشرطه أن لا يبتدأ بشيء يتطير منه»^(٢٣). ويذكر السيوطي: أن جميع فوائح السور قد أتت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء، وغير ذلك^(٢٤)، أما براعة الاستهلال فيعده نوعا أخص من الابتداءات، وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام من أجله. ويطبق ذلك على القرآن في إطاره الكلي فيقول في الإتيان: «والعلم الأسمى في ذلك: سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقي في شعب الإيمان... أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة منها التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب، فمن (علم) تفسيرها، كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة. وقد وجه ذلك بأن العلوم التي احتوى عليها القرآن، وقامت بها الأديان أربعة: علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته وإليه الإشارة بـ(رب العالمين * الرحمن الرحيم)، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بـ(الذين أنعمت عليهم)، ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بـ(ملك يوم الدين)، وعلم العبادات وإليه الإشارة بـ(إياك نعبد)، وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية وإليه الإشارة بـ(إياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم)، وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلاع على سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن، وهذا هو الغاية في براعة الاستهلال^(٢٥). ومراد القائل هنا: إن سورة الفاتحة تعد مطالعا للقرآن الكريم كاملا على اعتباره وحدة متجانسة وسببكية واحدة. ولما كانت الأشياء بضدها تتميز، فقد أشار كثير من أهل البيان والنقد على

استهلالات وابتداءات غير موفقة وقع فيها بعض الأدباء وصلت بهم أحيانا حد الإحراج، ومن ذلك ما ذكره الثعالبي في اليتيمة عن المتنبي بقوله: «ولأبى الطيب ابتداءات ليست -لعمرى- من أحرار الكلام وغرره، بل هي -كما نعاها عليه العائبون- مستشنة لا يرفع السمع لها حجاب ولا يفتح القلب لها باب، من ذلك:

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت فما شفيت نسيسا^(٢٦)

واستقبح قول إسحاق الموصلي:

يا دار غيرك البلى ومحاك يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فالقصيد في تهنة المعتصم بالله عند بنائه قصرا في منطقة تسمى بالميدان وسكن به، وقد قيل: إن المعتصم تطير بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر^(٢٧).

قال صاحب الإيضاح: «وينبغي أن يجتنب في المديح ما يتطير به... كما روي أن الشاعر ذا الرمة أنشد الخليفة هشام بن عبد الملك قصيدته البائية والتي مطلعها:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب

فقال هشام: بل عينك.

ويقال: إن ابن مقاتل الضرير (نصر بن نصر الحلواني) أنشد الداعي العلوي محمد بن زيد صاحب طبرستان أرجوزته التي أولها:

موعد أحبابك بالفرقة غد

فقال له الداعي: بل موعد أحبابك ، ولك المثل السوء^(٢٨). ويقال: أنه أنشده في يوم مهرجان قصيدة مطلعها:

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعي ويوم المهرجان

فبطحه وضربه خمسين عصا، وقال: إصلاح أدبه أبلغ من ثوابه^(٢٩). وفي البلاغة الواضحة ما نصه: «وب كلام كان في نفسه حسنا خلافا حتى إذا جاء في غير مكانه، وسقط من غير مسقطه، خرج عن حد البلاغة، وكان غرضا لسهام الناقدين. ومن أمثلة ذلك قول المتنبي لكافور الإخشيدي في أول قصيدة مدحه بها:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا.

- وهي إشارة صريحة في ضرورة المواءمة بين المطلع وحال المتلقي، إذ هي أهم من جودة السبك ساعتئذ. - وقديما زل الشعراء لمعنى أو كلمة نفرت سامعيهم، فأخرجت كلامهم عن حد البلاغة، فقد حكوا أن أبا النجم دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده:

صفراء قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول فأمر بحبسه. ومدح جرير عبد الملك بن مروان بقصيدة مطلعها:

أتصحو أم فؤادك غير صاح عشية هم صحبتك بالرواح

فاستنكر عبد الملك هذا الابتداء وقال له: بل فؤادك أنت. ونعى علماء الأدب على الشاعر البحري أن يبدأ قصيدة ينشدها أمام ممدوحه يوسف بن محمد بن يوسف الثغري بقوله:

لك الويل من ليل تطاول آخره ووشك نوى حتى تزم بأعاره.

فقال له يوسف: الويل لك والحرب^(٣٠). وعد ابن قيم الجوزية قول الأخطل:

إذا مت مات الجود وانقطع الندى ولم يبق إلا من قليل مصرد

من الاستهلال غير الموفق؛ لأنه ابتداء بشيء يتطير به، كما عد قول جرير:

وتقول بوزع قد دنيت لغيرنا هلا هويت لغيرنا يا بوزع

منه كذلك؛ لأنه جعل التشبيب بالاسم المستكره^(٣١)، وفي المثل السائر: لما أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التي مطلعها:

خف القطين فراحو منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير.

قال له عبد الملك: لا بل منك، وتطير من قوله^(٣٢). فهذه الابتداءات لم يرض عنها النقاد ولا السامعون وهي غير موفقة لعدم المناسبة للمقام؛ مما أدى إلى أن أوزت بأصحابها، وجعلت كلامهم يخرج عن حد البلاغة.

وفي الكلام المنتثر، عد الافتتاح بالحمد لله منذ بدء الإسلام من أجمل ما يفتح به الكلام لما تحتويه هذه الجملة من معان ودلالات، إلى درجة عدت المخالفة لهذا البدء بترا للنص يقول د. محمد ربيع: «إن غرض الفاتحة هو إثارة الاهتمام بما تنشر من ملاحظات، وتحرك خاطر المتابعته. وغالبا ما تشتمل الفاتحة على التعميم الذي كان وراء اختيار الموضوع وتناوله وبحته، والفاتحة تشرع الأبواب مؤذنة بدخول جو فكري جديد، ومباشرة نصوص مغايرة، علاوة على حسن التلطف واستمالة القلوب والانتباه والترقب. ولهذا جعل أكثر الابتدءات بالحمد لله؛ لأن النفوس تتشوق إلى الثناء على الله، وكل عمل لم يبدأ بالحمد لله فهو أبتتر^(٣٣). وقد ندر تجاوز الابتدء بالحمد حتى حكم على النص المتجاوز بالابتتر ومن ذلك خطبة زياد بن أبيه المسماة بالبتراء.

والناظر في القرآن الكريم، يجده قد اشتمل على مائة وأربع عشرة سورة، متنوعة المطالع تبعا لاقتضاءات المقامات انتظمت في عشرة أنواع من الكلام، فعن السيوطي ما معناه: أن الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها... فالأول التمجيد والثاني التسبيح ومنها: النداء والجمال الخبرية والقسم والشرط والأمر والاستفهام والدعاء والتعليل^(٣٤). وقد أصابت من البلاغة حدا يتمنى الوصول إليه أرباب البلاغة وفن القول -وأني لهم ذلك- والشأن أنه قول الحق سبحانه وتعالى. والقرآن في هذه الابتدءات -مع علو درجتها البلاغية- لا يخرج عن سنن العرب في لغة الخطاب، فقد جاء في الفوز الكبير: «... ولما كان بين أسلوب السور وأسلوب أمثلة الملوك مناسبة تامة، روعي في الابتدء والانتها طريقتي المكاتب كما يبتدون في بعض المكاتب بحمد الله عز وجل، والبعض الآخر ببيان غرض الإملاء، والبعض الآخر باسم المرسل والمرسل إليه، ومنها ما يكون رقعة وشقة بغير عنوان، وبعضها يكون مطولا وبعضها مختصرا، كذلك سبحانه وتعالى صدر بعض السور بالحمد والتسبيح، وبعضها ببيان غرض الإملاء كما قال عز وجل: (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)^(٣٥) (و) سورة أنزلناها وفرضناها^(٣٦)، وهذا القسم يشبه ما يكتب: هذا ما صالح عليه فلان وفلان... وبعضها يذكر المرسل والمرسل إليه كما قال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)^(٣٧)... وهذا القسم يشبه ما يكتبون... من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم

الروم، وبعضها على أسلوب الرقاع والشقق بغير عنوان كما قال عز وجل: (إذا جاءك المنافقون...) (٣٨)، ولما كان من عاداتهم في مبدأ قصائد التشبيب بذكر مواضع عجيبة ووقائع هائلة، اختار الله عز وجل هذا الأسلوب في بعض السور كما قال تعالى: (والصافات صفا فالزاجرات زجرا) (٣٩)... (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) (٤٠). ومع وجود هذه المضاهاة، فالعبرة ليست في المطابقة الشكلية وإقامة الأنماط الكلامية، بل في تخير الألفاظ، وإقامة المعاني، ومناسبة المقام ومراعاة أحوال السامعين، وإصابة الغرض بحيث لو رمت التبديل أو التغيير على أي وضع لاختل النظم، ووجدت من نفسك وعقلك الإلحاح في العودة إلى الأصل وكان العود أحمد. وهأنذا في هذا البحث أحاول أن أرسم معالم فوائح السور التي ابتدأت بالشرط لوضع اليد -حسب الإمكان- على معالم حسن الابتداءات وبراعة الاستهلال فيها، ومحاولا أن أبرز علاقة ذلك في موضوعات السور وخواتيمها؛ لتتجلى لنا بعض وجوه ومعالم البلاغة القرآنية في هذه الجزئية. ومعيني في ذلك التحليل والاستقراء والاستنباط والإحصاء في ضوء معطيات اللغة وأقوال العلماء وما يفتح الله به علي.

إن السور التي ابتدأت مطالعها باستخدام أسلوب الشرط هي سبع تقع واحدة منها في الجزء السابع والعشرين، والثانية في الجزء الثامن والعشرين، وما تبقى في الجزء الأخير الثلاثين، وترتيبها في المصحف على النحو الآتي:

أولاً: سورة الواقعة ومطلعها قوله تعالى: (إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا * وكنتم أزواجا ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة *).

ثانياً: سورة المنافقون ومطلعها في قوله تعالى: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون *).

ثالثاً: سورة التكوير ومطلعها في قوله سبحانه: (إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت * وإذا الصحف نشرت * وإذا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت *).

رابعاً: سورة الانفطار ومطلعها يتمثل في قوله تعالى: (إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت *).

خامساً: سورة الانشقاق ومطلعها في قوله عز وجل: (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت *).

سادساً: سورة الزلزلة ومطلعها في قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها * أخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها *).

سابعاً: سورة النصر ومطلعها قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً).

الدراسة التحليلية:

أولاً: سورة الواقعة: وهي أول ما يطالعنا من هذه السور الشرطية -حسب ترتيب المصحف- والتي مطلعها: (إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * ويست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا * وكنتم أزواجا ثلاثة *).

إن أول ما يطرق أذن السامع من هذا المطلع أداة الشرط الظرفية (إذا)، وهي كفيلة باستدرار سمع المتلقي؛ للفضول المجهول عليه الإنسان من حب معرفة ما هو المشروط (جملة الشرط)، وما يترتب عليه من نتائج سلبي أو إيجابي (جواب الشرط)، ويزيد الشوق إلى المتابعة غرابة الطرح في المعاني والموضوعات الداخلة عليها الأداة والتي لا يمكن أن يدعيها المتكلم (الموحى إليه) لنفسه؛ إذ هي مما لا يندرج تحت الطاقة البشرية من إيقاع الواقعة (يوم القيامة) وبعض مظاهرها المتمثلة هنا برج الأرض وتفتت الجبال وبسها وتمايز الخلائق إلى أصناف ثلاثة، ويزيد التشوق إلى متابعة الخطاب الرباني، حسن التناسب المتمثل بين الألفاظ المستخدمة، والمعاني العظيمة التي تحملها؛ فالجرس الموسيقي للألفاظ يمثل حقيقة ما تحتويه من معاني

مصور لها أدق تصوير؛ فما أن يطرق سمعك لفظ الوقع حتى تدرك أن شيئاً عظيماً قد حدث فجأة -هو المتصور من (و- قع)- واستقر حدثه، وهو المتصور من حرف التاء المهموس الجلد(ت) أي: (وقعت) حيث يقف الهواء وقوفاً تاماً حال النطق بالتاء عند نقطة التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ومقدم اللثة... وتتوقف الأوتار الصوتية عن التذبذب^(٤١) ووقوعه لمرة واحدة دفعة واحدة^(٤٢) فبدأ يترتب على وقوعه مجموعة من النتائج المربعة من الخفض والرفع ورج الأرض وبس الجبال وتطايروها كالهباء، وتزداد هيبة الموقف مع استخدام المفعول المطلق (رجا، بسا) المؤكد للفعل والطارد للشك أو التأويل من ذهن المتلقي في كون الحدث ليس حقيقياً، ويزيد ذلك قوة حسن التقسيم من ترتيب النتائج على الأحداث ترتيباً منطقياً؛ فوقع الواقعة يتبعها الخفض والرفع ويترتب عليه رج الأرض المؤدي إلى بس الجبال ثم انقسام الناس إلى ثلاثة أصناف.

وتساهم الفواصل في رسم الصورة الهائلة لهذا المشهد الكوني العظيم مما يزيد شوق المستمع؛ وذلك من خلال جعل النهايات المفصلية الثلاث الأول ذوات مقاطع صوتية قصيرة مما يوحي في الذهن سرعة التتابع للحدث فجاءت نهاياتها على الشكل الآتي: (عه، به، عه)، كما تشير تاء التأنيث هنا إلى شدة الأمر الواقع وهوله، فهي هنا للمبالغة والإيجاز كما في رواية ونسابة^(٤٣) ففي الواقعة والكاذبة والخافضة الرافعة أمور أبعد من مجرد الوقع والكذب والرفع. ثم جعلت الآثار المترتبة على الحدث في ثلاث نهايات مفصلية ذوات مقاطع صوتية طويلة من خلال استخدام تنوين النصب وذلك يجعل السامع في تودة ذهنية مصدرها السمع لتتبع النتائج فكانت النهايات على الشكل الآتي:

(رجا، بسا، منبثا) ثم كانت نهاية المشهد بمقطع قصير دلالة على ختم المطلع على النحو الآتي: (ثه) من قوله تعالى: (وكنتم أزواجا ثلاثة). وهذه الظاهرة المتمثلة بقوة الجرس الموسيقي الناتجة عن: -قصر الفواصل مع قوة الألفاظ وإيجاز العبارة بما يصح الأذان ويشد قرعه على السامع ويصعق القلوب فليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي^(٤٤)- نجدها في السور ذات المطالع الشرطية خاصة، وفي السور المكية النازلة قبل الهجرة عامة، وهي ظاهرة أسلوبية تتناسب من حيث الزمان مع بدء الدعوة الإسلامية من جهة، ومع الموضوعات المطروحة من جهة

أخرى، والتي منها: إثبات اليوم الآخر الذي تحدثت عنه الآيات ، كما أن هذا التناسب الدقيق بين الألفاظ في جرسها الصوتي، وما تؤديه من معاني، ليس وليد الصدفة بل أمر مغروس في جسم اللغة بشكل عام، ويتحقق كماله في أعلى درجات الاستخدام البياني في القرآن، وقد لاحظ ذلك ابن جني في الكلمات العربية حيث أدرك أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار، فكأن هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المطلوب بطريقة مغايرة لما يؤديه صوت آخر، حيث قال: «... فإن كثيراً من هذه اللغة وجدته مضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ألا تراهم قالوا: قضم في اليابس وخضم في الرطب»^(٤٥).

وإذا كان جواب الشرط يتمثل في قوله تعالى: (فأصحاب الميمنة...) ^(٤٦)، أو على تقدير -عند العكبري وغيره- إذا وقعت بانث أحوال الناس فيها ^(٤٧)، فهذا يعني أن فاتحة هذه السورة (المطلع) قد انتظمت جملة الشرط فحسب دون الجواب، وبدأ العرض بجملة جواب الشرط الذي شكل في النص نقطة تعانق واتصال انسيابي وحسن انتقال بين المطلع وجسم السورة (العرض) وما بعدها، وساعد في ذلك مجيء الفاء في جواب الشرط لتقوم في إفادة الربط مقام جزم الجواب وقد خصت للربط لما فيها من معنى السببية والتعقيب ^(٤٨).

وتتفتق أمامنا لطائف كامنة في هذا المطلع ونظائره إذا ما حاولنا البحث في سر الابتداء ب(إذا) الشرطية الظرفية ودواعي اختيارها في هذا المقام من بين الأدوات الأخرى المقاربة لها في الدلالة. ونكات هذا الاختيار قد يظهر بعضها من خلال تحليل ماهيتها في ضوء المعطيات النحوية والبلاغية والتي تتمثل في الآتي:

اختيار إذا من بين أدوات الشرط: عند النظر في جميع المطالع للسور السابقة نجد أنها استخدمت إذا دون غيرها، وقد يعود ذلك لخصوصية تميز إذا عن غيرها من أدوات الشرط ^(٤٩) سطرتها كتب اللغة ، ففي الاعتبار النحوية، نجد أنها ظرف زمان مستقبل، وهي شرطية في أكثر استعمالاتها، جاء في الكتاب «وأما (إذا) فلما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة وهي ظرف» ^(٥٠). لكن الجزم بها فيه خلاف عند النحاة وهو مقصور على الشعر وحده عند بعضهم، فقد جاء في الكتاب: «وسألته (يعني الخليل) عن (إذا) ما منعهم أن يجازوا بها؟ فقال: «الفاعل في إذا بمنزلة في

(إِذَا) إذا قلت: أتذكر إذ تقول، (فَإِذَا) فيما تستقبل بمنزلة (إِذَا) فيما مضى. ويبين هذا أن إذا تجيء وقتنا معلوماً؛ ألا ترى أنك لو قلت: أتيتك إذا احمر البسر كان حسناً، ولو قلت: أتيتك إن احمر البسر كان قبيحاً؟ ف(إِنْ) أبداً مبهمة، وكذلك حروف الجزاء. و(إِذَا) توصل بالفعل، فالفعل في (إِذَا) بمنزلته في (حِينَ) كأنك قلت: الحين الذي تأتيني فيه أتيتك فيه. وقال ذو الرمة:

تصفي إذا شدها بالرحل جانحة حتى إذا ما استوى في غرزها تثب^(٥١).
ومعنى ذلك أن دلالة إذا على الشرط غريب عند النحاة؛ لأن (إذا) ظرف زمان مستقبل، والزمان المستقبل لا بد أن يجيء ويتحقق معه ما يقع فيه من أحداث وكل هذا مقطوع به. والشاهد في البيت: أنه لم يجزم الفعل في جواب إذا وهو الوجه الجيد^(٥٢). أما جزمها في النثر فنادر، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أخذتما مضاجعكما، تكبرا أربعاً وثلاثين...». حيث جزم (تكبرا) بحذف النون والحديث محتمل لأن يكون قد جاء على لغة من يحذف النون من الأفعال الخمسة مطلقاً عند من يرى: إنها لاتجزم إلا في الشعر^(٥٣). والاعتبارات البلاغية المترتبة على ذلك يمكننا عدها في الآتي:

١- إن استخدام فعل الشرط في صيغة الماضي، يعد انحرافاً عن قاعدة أسلوب الشرط، إذ الأصل في فعله وجوابه أن يكونا مضارعين، ولا يصار إلى ذلك العدول إلا لنكتة، جاء في الإيضاح: «واعلم أنه لما كانت هاتان الكلمتان (إِنْ وَإِذَا) لتعليق أمر بغيره - أعني الجزاء بالشرط - في الاستقبال، امتنع في كل واحدة من جمليتهما الثبوت، وفي أفعالهما الماضي - أعني أن يكون كلتا الجملتين أو إحدهما اسمية أو كلا الفعلين أو أحدهما ماضياً، ولا يخالف ذلك لفظاً نحو: إن أكرمتني أكرمتك، وإن أكرمتني أكرمتك، وإن تكرمني أكرمتك أمس، إلا لنكتة ما^(٥٤). وينقل عن الزمخشري قوله: «الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة»^(٥٥). وواضح من النص أنه استخدم الفعل الماضي في جملة الشرط، أما النكتة في ذلك فقد تعود إلى أن ما سيقع فهو في حكم الواقع لاعتبارات في حال المتكلم رب العزة والجلال، أو إبراز غير الحاصل في صورة الحاصل لقوة الأسباب النافذة في وقوعه، وذلك لحمل المتلقي على إعادة النظر فيما هو عليه من التكذيب أو الشك في الحكم

المراد تقريره، وهو في السورة حكم البعث والنشور.

٢- تكذيب المشركين بوجه لا يستدعي غضبهم: كما هو معلوم من أن من أهداف هذه السورة الرد على منكري البعث جاء في الظلال: «القضية الأولى التي تعالجها هذه السورة المكية هي قضية النشأة الآخرة ردا على قولة الشاكين فيها المشركين بالله... ومن ثم تبدأ السورة بوصف القيامة، وصفها بصفتها التي تنهي كل قول، وتقطع كل شك، وتشعر بالجزم في هذا الأمر»^(٥٦). لقد كان الرد على المشركين وتكذيبهم فيما ذهبوا إليه من إنكار البعث من خلال بناء النص من الناحية الشكلية على هذا النحو (إذا وقعت الواقعة) الموحى إلى الجزم بتحقيق الوقوع، وهو في حقيقته تكذيب للكفار ودفع الشك عن الشاكين بأسلوب غير مباشر؛ إذ الأسلوب المباشر في التكذيب مظنة زيادة الغضب والتمادي بالكفر، وفي هذا الأسلوب غير المباشر تُلطف في حسن مخاطبة المتلقي الخصم بوجه يستدعي منهم إعادة النظر فيما ذهبوا إليه من الشك أو الإنكار رغبة في تقبلهم للحق.

٣- ربط المطلع بما يليه (العرض): إن عد (إذا) شرطية مجازا بها، يعني حقيقة تعلق الجواب بالشرط، والمعنى أن انقسام الناس إلى أنواع ثلاثة (فأصحاب الميمنة...) متسبب عن وقوع الواقعة من حيث ترتب الجواب على الشرط فإذا تم الأول، تم الثاني، والنكتة المقصودة من هذا التعلق ربط المطلع بالعرض وحسن تخلص من المقدمة إلى ما يليها. أما في حالة عدم المجازاة، فالمعنى أن ليس هناك ترتب أمر على آخر بل المراد الإخبار بما سيقع وأن هذه الأمور ليس السبيل في جعل بعضها متعلقا بتحقيق الآخر فلا ينتظر المتلقي تحقق الشرط حتى يتحقق الجواب بل الجميع في حكم الخبر الثابت الوقوع، والمعنى ستقع الواقعة لا محالة من ذلك، ووقت الوقوع ينقسم الناس إلى أزواج ثلاثة وقد عدل عن استخدام صورة الخبر غير المقيد بشرط إلى صورة المقيد به لنكتة التشويق في التلقي والإثارة وإبراز الخبر في صورته المهولة.

٤- استخدام المطلع كرابط بين سورتين: تبين مما سبق أن استخدام المطلع بما هو عليه كان وسيلة قوية للربط بين المقدمة في السورة والعرض، حيث شكل جواب الشرط الملفوظ (فأصحاب الميمنة...) نقطة تحول إلى العرض، وبما أن القرآن

يعد كالسبيكة الواحدة، فإننا نرى بوضوح كيف شكل هذا المطلع نقطة تناسب وارتباط بين سورة الواقعة وما قبلها (أعني سورة الرحمن)، وبين السورة وخاتمتها . ويظهر ذلك من خلال الآتي:

إن تجريد الأداة (إذا) من الدلالة على الشرط يجعلها محض ظرفية تفيد زمنا مستقبلا ولا بد لهذا الظرف من عامل يتعلق به وقد جعله الزمخشري -كما مر- منصوبا بليس من قوله تعالى: (ليس لوقعتها كاذبة) والمعنى عنده: يوم تقع الواقعة ليس لوقعتها نفس كاذبة، أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في الغيب^(٥٧). واستنكر أبو حيان هذا التقدير وعده بعيدا عن الصواب حيث قال: «أما نصبها بليس فلا يذهب نحوي ولا من شدا شيئا من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأن ليس في النفي ك(ما)، و(ما) لا تعمل فكذلك ليس^(٥٨). وجعل العامل فيها ما يليها من الفعل (وقعت). وكلا التقديرين فيهما نظر، والذي يبدو لي أن العامل فيها محذوف يفهم من السورة السابقة سورة الرحمن، ومفاده أن ما يحصل للمؤمنين من النعيم أو للكفار من العذاب والجحيم على نحو ما ورد في السورة السابقة كائن لامحالة يوم تقع الواقعة، وهذا التقدير يظهر جانبا من جوانب الربط بين السورتين من جهة، ويظهر مدى التثام المطلع من خلال استخدام الجملة المصدرة بظرف زمان المستقبل (إذا).

على أننا لا نعدم جوانب ربط أخرى بين السورتين ذكرها أهل العلم، منها:

أ- سورة الرحمن مشتملة على ذكر النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب، وهنا اشتملت السورة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر، وبالشكر لمن كذب وكفر.

ب- سورة الرحمن متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد، وهذه السورة متضمنة لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد.

ج- سورة الرحمن إظهار للرحمة، وهنا إظهار للهيبة^(٥٩). في البحر المحيط: «لما ذكر ما آل إليه الثقلان من عذاب ونعيم، ذكر ذلك هنا مفصلا للسابقين المقربين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالين^(٦٠). وما من شك أن بناء المطلع على ما هو عليه يعد عمادة رئيسة في هذا الربط؛ إذ الاعتماد في تحقق هذه المعاني مرتبط

بظرف الزمان المستقبل (إذا).

٥- علاقة المطلع بالختام:

لما كانت الخاتمة آخر ما يطرق سمع المتلقي من الكلام، أعطيت أهمية خاصة فيه لا تقل عن مبدئه، ومن محاسنها أن تكون تلخيصاً لما مر ذكره في المطلع والعرض، وعند تحليل السورة في ضوء مقاطعها الثلاثة، نجد أن العرض يشكل تفصيلاً لما أجمله المطلع: قيام الساعة الكبرى وانقسام الناس إلى أصناف ثلاثة متباينة في النتائج ثم الخاتمة التي لخصت ما ذكر في المطلع والعرض وهي تتمثل في قوله تعالى:

(فلولا إن كنتم غير مدينين * ترجعونها إن كنتم صادقين * فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنت نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين * وأما إن كان من المكذبين الضالين * فنزل من حميم * وتصلية جحيم * إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم *)^(٦١). ومن جهة أخرى، نجد المطلع قد تحدث عن أمر القيامة الكبرى الشاملة لجميع الخلائق، وفي الخاتمة تحدث عن القيامة الصغرى التي تصيب كلا وحده، فالمشهد القرآني هنا يتحدث عن خروج الروح القسري من جسم الإنسان ويتحدى في إعادتها إلى جسمها، فكما أن خروج الروح من الجسم ثابت لا مفر منه كذلك الحال في حدوث القيامة فالخاتمة إذن تشكل عودة على بدء.

نخلص مما سبق إلى القول بأن استخدام (إذا) في هذا المقام هو الأمثل الذي يحقق مقاصد المتكلم سواء اعتبرت شرطية أو ظرفية، ولو رمنا وضع أداة أخرى من أدوات الشرط مكانها لما تآتى لنا، ولذهبت مقاصد المبدع أدراج الرياح، وإن رمت الدليل على ذلك فاعمد إلى أدوات الشرط واحدة تلو الأخرى وحاول أن تجعلها مكان (إذا) وانظر جوانب النقص ساعتئذ في التعبير: فلو وضعنا (إن) لفاتتنا الدلالة على تحقق الوقوع، ولو وضعنا (من أو ما أو مهما) لفاتتنا الدلالة على الزمن، ولو وضعنا (متى) لأفادت الزمن المجرد، ولو وضعنا (إيان) وإن كانت تدل على المستقبل في الأمور العظيمة فيفوتنا الدلالة على الشك أو التحقق في وقوع ما بعدها، وكذلك الحال في وضع (أنى)، فهي محتملة لغير الزمن ناهيك عن خلوها من

الدلالة على اليقين في تحقق ما بعدها، أما (إنما) فقد وضعت -في الأكثر- لتعليق الجواب على الشرط تعليقا مجردا من غير الدلالة على زمن أو غيره، كما أنه يشترط للجزم بها زيادة ما خلافا لإذا، وكذلك الحال في بقية أدوات الشرط (أي، أين، حيثما، كيفما، لو، لوما، لولا، لما الحينية)^(٦٢) كما نخلص إلى أن استخدام هذا المطلع بوساطة إذا في هذه السورة هو الأنسب في تحقيق مقاصد المتكلم والله أعلم.

نظائر السورة: ولهذه السورة نظائر أخرى من حيث بناء المطلع بوساطة إذا داخلة على جملة شرط فعلية فعلها ماض، وهذا التوافق من حيث المشابهة بالوضع لا يعني بالضرورة تماثل الصناعة؛ وذلك لتعدد أغراض الكلام واختلاف أسباب نزول السور. فمن النظائر:

١- سورة المنافقون ومطلعها: (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون * اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون *) ويتمثل المطلع -كما هو واضح- في الآية الأولى، وانتظم العرض الآيات من ٢-٨، والسورة كلها حديث عن النفاق والمنافقين وانتظمت الخاتمة في الآيات ٩-١١ التي اشتملت على تحذير من متابعة المنافقين في بعض صفاتهم. فالتلقي للمطلع يدرك كل الإدراك أن الحديث سيتناول المنافقين ولعل هذا الأسلوب القرآني (أعني أن يكون في المقدمة ما يدل على العرض) هو ما أوحى إلى ابن المقفع أن يقول في شأن التأليف والكتابة: «وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته»^(٦٣) أما استخدام أسلوب الشرط بوساطة إذا الداخلة على الفعل الماضي، فهو الأنسب للمقام في هذه السورة أيضا؛ فهو يوحي بحتمية مجيء المنافقين إلى النبي صلى الله عليه وسلم لتوكيد إيمانهم الكاذب، وهذه الحتمية في المجيء يوضحها لنا الاطلاع على أسباب النزول وقصة ماء المريسيع حيث وقع اقتتال بين جهجاه أجير عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المهاجرين وسنان الجهني من الأنصار بسبب التزاحم على الماء، فصرخ كل منهما يطلب نجدة قومه: يا معشر الأنصار، يا معشر المهاجرين، فقال زعيم المنافقين عبد الله بن سلول الخزرجي مقولته «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ويقصد بالأعز: هو ومن معه من المنافقين، وبالأذل المؤمنين من المهاجرين، ثم أقبل على من حضره

من قومه فقال: أما والله لو أمسكتهم عنهم أيديكم (أي الإنفاق على المهاجرين)، لتحولوا إلى غير داركم» وقد علم أن خبر مقولته الدنيئة قد أوصلها زيد بن أرقم وكان غلاما حدثا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكان لا بدله ومن معه من المثل بين يدي رسول الله لتوضيح موقفهم وتكذيب ابن الأرقم. وكان القرآن لهم بالمرصاد فنزلت هذه السورة تكذيبا لهم حتى أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذن زيد قائلا: «هذا الذي وفى لله بأذنه»^(٦٤). ويؤكد ذلك ما جاء في تفسير الخازن أيضا: أن المراد بالمنافقين هنا: عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه^(٦٥).

ونحن إذ نسوق هذه الحادثة لنبين حتمية مسير المنافقين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للدفاع عن أنفسهم، فكان التعبير القرآني مصورا لتلك الحتمية باستخدام إذا التي تمحض الشرط للاستقبال، وتجعله مقطوعا بوقوعه، وقد غلب لفظ الماضي مع إذا هنا لكونه أقرب إلى القطع نظرا إلى اللفظ^(٦٦). أما عنصر التشويق فهو باد - كما أوضحنا في السورة السابقة - في استخدام الشرط (إذا جاءك المنافقون) وجوابه الذي يحتمل أن يكون: ١- قالوا نشهد أنك لرسول الله؛ لأن المنافقين لا يقولون ذلك إلا عند لقاء المؤمنين، وشببيه في سورة البقرة: (... وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا...) ^(٦٧) فقولهم مقيد بوقت لقاء المؤمنين فقط. ٢- أو محذوف، والتقدير: جاءوك قائلين نشهد... فلا تقبل منهم. وعندئذ تكون جملة (اتخذوا أيمانهم جنة...) تعليلا لعدم قبول ذلك القول منهم، وقوله (والله يعلم إنك لرسوله) جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها وهو ما أظهروه من الشهادة وإن كانت بواطنهم على خلاف ذلك، وجيء بها لدفع توهم تكذيبهم في دعوى رسالته صلى الله عليه وسلم لئلا يتوهم السامع أن قولهم (إنك لرسول الله) كذب في حد ذاته^(٦٨). ٣- أو اتخذوا أيمانهم جنة -وهو بعيد عند الشوكاني^(٦٩)- والأقرب أن نعدّها بداية لعرض الموضوع ليصبح المعنى على النحو الآتي: إذا جاءك المنافقون قائلين بأفواههم ما ليس في قلوبهم إنك لرسول الله... فلا تقبل منهم للأسباب الآتية: (اتخذوا أيمانهم جنة...)

استخدام المطلع كرابط بين السورة وما قبلها (سورة الجمعة) الناظر في نهاية السورة السابقة، يجد أنها ختمت الحديث باستخدام الشرط (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله

خير الرازقين^(٧٠) وبدأت سورة المنافقون بمثل ذلك الختام بمطلع شرطي، وهو توافق من حيث الأسلوب والبناء اللفظي، أما من جهة المعنى فهناك توافق أيضاً يدرك بالتأمل؛ ففي آخر سورة الجمعة إشعار بأن الذين بادروا بالانفضاض من صلاة الجمعة هم المنافقون وتبعهم الآخرون لحاجتهم لما تحمل العير، وفيه إشعار بأن ذلك الفعل ينافي حقيقة التوكل على الله ويقلل من شأن الرسول في النفوس، وهذا مما يتطلب من الفاعل التوبة بتوكيد الإيمان وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بالشهادة. والذين فعلوا ذلك السوء أكثرهم منافقون، فكان الطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية هذه السورة بعدم قبول شهادتهم حالة رجوعهم (إذا جاءك المنافقون..)^(٧١). ومن جهة أخرى نجد ذم السورة للذين لم يتابعوا النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة يجعلهم في موقف الندم حقيقة عند المؤمنين، وندم ظاهري عند المنافقين وذلك يستدعي العودة والاعتذار من الصنفين: صنف مؤمن ذكر في نهاية الآيات (يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون)^(٧٢)، وصنف منافق ذكر في أول الآيات (إذا جاءك المنافقون...). ولا ننسى المطابقة الدقيقة بين الانفضاض بمعنى سرعة الترك في خاتمة الجمعة والمجيء بمعنى العودة والإياب في بداية «المنافقون». فهي توحى بالحركة الثقيلة عند الإقبال على الرسول صلى الله عليه وسلم، وسرعة الإدبار عنه عند أدنى شيء ظاهره الخير لهم.

علاقة المطلع بالختام: ختام السورة قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون *»^(٧٣) ويتمثل ذلك من عدة جهات منها: إن الحديث في المطلع كان عن المنافقين، وحديث الختام عن المؤمنين وتحذيرهم من الاتصاف ببعض صفات المنافقين مثل عدم الإنفاق في سبيل الله فقوله تعالى: (وأنفقوا مما رزقناكم) تنبيه على مخالفة المنافقين الذين من صفاتهم عدم الإنفاق (يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله...).

إن الحديث في بداية السورة كان عن صفات المنافقين بالتصريح، وفي الختام

الحديث عنهم بالكناية والتلميح، والدليل أن طلب الرجعة على الأرض من صفات غير المؤمنين إذ المؤمن -كما ورد عن ابن عباس- لا يسأل الرجعة^(٧٤). قال السيد: «وليس في السورة عدا هذا إلا لفظة في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما يلصق بهم صفة من صفات المنافقين ولو من بعيد، وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله والغفلة عن ذكره اشتغالا بالأموال والأولاد، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات»^(٧٥). ومن الناحية اللفظية، فقد بدأت السورة بشرط (إذا) وانتهت بشرط (لولا أخرتني... فأصدق وأكن...) فقد جاءت أكن بالجزم عطفًا على محل (فأصدق) كأنه قيل: إن أخرتني أصدق وأكن، وجزمه عند الخليل على توهم الشرط الذي يدل عليه التمني^(٧٦). ومن الملاحظ أن السورة ذات مقاطع طويلة، وفاصلة تتسم بالأناة والراحة من خلال الدائرة بين حرفي المد العارض للسكون الواو والياء، وموضوع النفاق والمنافقين -كما هو معلوم- لم يظهر إلا بالعهد المدني فالسورة مدنية طبقًا لما جاء في كتب أصول التفسير^(٧٧).

٢- ومن أكثر النظائر قربًا من سورة الواقعة، سورة الزلزلة، بل إنها تعد تفسيرًا لما جاء في الواقعة بأثواب لفظية جديدة كدليل على إعجاز القرآن الكريم؛ إذ يطرح المعنى الواحد بطرق لفظية مختلفة ويبقى -مع ذلك- في الدرجة العليا من النظم ناهيك عن تفتق دلالات معنوية من خلال هذه الأثواب اللغوية تتناسب مع الموضع الجديد وما سيق له ومصداق ذلك: لو أنا عمدنا إلى كاتب من المشهود لهم في البيان وطلبنا منه إعادة ما كتب باستخدام طريق غير ما ذكر في المرة الأولى لتعددت عثراته وبانت ركاكته وتفاوتت تأليفاته قوة وضعفاً.

والسورة تتحدث عن بعض مشاهد يوم القيامة، وقد جاء مطلعها في قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها * وقال الإنسان ما لها * يومئذ تحدث أخبارها * بأن ربك أوحى لها *). وحتى يتبين لنا مدى التأثير والتشويق في هذا المطع ننقل ما قاله السيد قطب: «إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجاجاً، وتزلزل زلزلاً، وتنفض ما في جوفها نفصاً، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً. وكأنها تتخفف من هذه الأثقال، التي حملتها طويلاً وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء

ثابت؛ ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون والأرض من تحتهم تهتز وتمور مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبه به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتا باقيا؛ وهو الإيحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن، ويودع فيها حركة تكاد تنتقل إلى أعصاب السامع بمجرد سماع العبارة القرآنية الفريدة ويزيد هذا الأثر وضوحا بتصوير (الإنسان) حيال المشهد المعروض، ورسم انفعالاته وهو يشهده:

(وقال الإنسان: ما لها؟) وهو سؤال المشدود المبهوت المفجوع، الذي يرى ما لم يعهد، ويواجه ما لا يدرك، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه والسكوت. ما لها؟ ما الذي يزلزلها هكذا ويرجها رجا؟ ما لها؟ وكأنه يتمايل على ظهرها ويترنح معها ويحاول أن يمسك بأي شيء يسند ويثبت، وكل ما حوله يمور مورا شديدا^(٧٨). وتزداد دهشته عندما يكون الجواب حديثا من الأرض نفسها التي لم يسبق وأن تكلمت إلا اعتبارا وهاهي اليوم تنطق نطق اللسان والجنان^(٧٩). والمشهد على هذه الصورة مستوحى من ما رسمته الكلمات باستخدام الظرف إذا ثم بناء الفعل بعده بناء ماضويا للمجهول (زلزلت) ليوحى أن الزلزلة بتأثير خارجي عظيم (هو صوت إسرافيل عليه السلام)^(٨٠)، وإبرازا للحدث دون المحدث لتتمكن صورته في النفس، واختبار صيغة فعل الدالة على الحركة من خلال التكرار في الحروف ثم استخدام المفعول المطلق المفيد للتوكيد مضافا إليه الهاء أي الزلزال اللائق بها أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه وورود قراءة (تنبئ أخبارها) بدلا من تحدث الموحية بعظمة الخبر؛ إذ الإنباء يكون في العظيم من الأخبار^(٨١) والسورة كما هو ملاحظ تسير على طريقة القرآن المكي في الموضوعات والأسلوب، وهذا يطابق ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعطاء من كون السورة مكية، ويخالف ما جاء عن قتادة ومقاتل من كونها مدنية^(٨٢).

المطلع كرابط للسورة بما قبلها: ربط بعض المفسرين بين مطلع السورة وسورة البينة على طريقة الاستئناف البياني؛ وهو كون بداية هذه السورة ناتجا عن سؤال مقدر يفهم من السورة السابقة قال في البحر المحيط: «لما تحدثت سورة البينة عن أحوال المؤمنين وأحوال الكفار، ومصير كل منهم فكان سائلا يسأل: متى ذلك؟ فكان الجواب: (إذا زلزلت الأرض...)»^(٨٣).

أما ربطها بالختام، فهو واضح في كون الختام نتيجة طبيعية لهذا الحدث الكوني العظيم حيث تأخذ العدالة المطلقة مجراها ويصبح كل شيء وكل معنى قابلاً للقياس والوزن (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره *...) (٨٤) ومن الناحية اللفظية بدأت بأداة تحتاج إلى جواب (إذا زلزلت) وانتهت كذلك بأداة تحتاج إلى جواب (فمن يعمل).

٣- سورة النصر: وتتكون من ثلاث آيات قوله تعالى: (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وواضح للوهلة الأولى أن بناءها اللفظي يجعلها في مصف ما سبق من السور كأحدى النظائر حيث ابتدأت بالشرط الداخل على الفعل الماضي لإفادة أن مدخولها في حكم المتحقق وإن دل على استقبال باعتبارها تحدثت عن فتح مكة والنصر قبل وقوعه؛ فقد نزلت -في بعض الروايات- منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة خيبر وعاش بعد نزولها سنتين (٨٥). قال الزمخشري وغيره من المفسرين: «والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة» (٨٦). ويفهم بعد تحقق النصر فعلياً أن الغرض من مجيء النص على هذه الكيفية هو تأكيد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم في نفوس المؤمنين، وإثبات نبوته باعتبار تحقق ما يتحدث عنه في نفوس غيرهم بدليل حسي ملموس.

ومن قرائن خارجية أخرى يمكن عد مدخولها حكمه حكم المضي حقيقة فقد علم من أسباب النزول -في بعض الروايات- أن هذه السورة نزلت بعد تحقق نصر الله عز وجل للمؤمنين فعلياً في فتح مكة السنة الثامنة للهجرة، فقد جاء عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنها نزلت بمنى في حجة الوداع في أواسط أيام التشريق وعاش بعدها النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوماً أو نحوها (٨٧). وفي ضوء هذا الاعتبار يمكننا عد (إذا) أنها جاءت بمعنى (قد) -كما عند القرطبي- أي: «قد جاء نصر الله والفتح» (٨٨). والذي يبدو لي أن استخدام إذا في هذا الموضع جاء لبيان تحقق نصر الله في الماضي باعتبار لفظ مدخولها الماضي (جاء)، واستمرار هذا النصر في المستقبل باعتبارها ظرف زمان مستقبل، وهو ما يصدق واقع المسلمين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من استمرارية الفتوحات في الطائف واليمن ووفود العرب وغيرهم عليه.

أما عن استخدام المطلع كرابط بين السورة وما قبلها من سورة الكافرون، فهو بين جلي يتمثل في أنه: «لما كان في قوله عز وجل في حق الكافرين من السورة السابقة (لكم دينكم ولي دين)^(٨٩). موادعة بين المؤمنين والكافرين، جاء في هذه السورة بما يدل على تخويفهم وتهديدهم وأنه أن مجيء نصر الله وفتح مكة^(٩٠). والتهديد- كما هو واضح- يفهم من خلال استخدام هذا المطلع الشرطي بالصيغة التي جاء عليها (إذا والفعل الماضي).

ثانيا: سورة التكوير ونظائرها: أ- التكوير: ومطلعها في قوله سبحانه: (إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموعدة سئلت * بأي ذنب قتلت * وإذا الصحف نشرت * وإذا السماء كشطت * وإذا الجحيم سعرت * وإذا الجنة أزلفت * علمت نفس ما أحضرت *)

ب- الانفطار: ومطلعها يتمثل في قوله تعالى: (إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت*)

ج- سورة الانشقاق: ومطلعها في قوله عز وجل: (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت *)

من الملاحظ في مطالع هذه السور المتناظرة:

١- اتحادها في المعنى العام، حيث نجد أنها تتحدث عن مشاهد انقلاب كوني عظيم يشمل مخلوقات علوية عظيمة كالسما والشمس والنجوم، وأخرى سفلية كالأرض والجبال والبحار وغيرها، جرت العادة في ثباتها عبر السنين والشهور، وها هي اليوم تخرج عن مألفها. وقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»^(٩١). وينقل البقاعي عن أبي جعفر بن الزبير قوله عن سورة الانفطار: «كأنها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد»^(٩٢). وقال الطبرسي: «لما كانت السورة المتقدمة

(التكوير) في ذكر أهوال يوم القيامة افتتح سبحانه هذه السورة (الانفطار) بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظر بالنظر^(٩٣).

٢- من حيث طول هذه المطالع وقصرها في عدد الآيات، نجد أنها فصلت في الأولى حتى استغرقت أربع عشرة آية، وتوسطت فيما تبقى فشملت خمس آيات في الثانية والثالثة.

٣- من حيث المعنى، نجد المطالع في الأولى مطنبا، وفي الثانية متوسطا، وفي الثالثة موجزا؛ ففي الأولى تحدث عن مظاهر كونية كثيرة منها ماهو سماوي ومنها ماهو أرضي، وفي الثانية ذكر أمرين سماويين وأمرين أرضيين، وفي الثالثة ذكر فقط السماء والأرض، والمطالع بهذه الطريقة كأنها تنتقل من التفصيل إلى الإجمال بتدرج.

٤- أن مطالعها استخدمت (إذا) الداخلة على جملة اسمية: (إذا الشمس كورت * إذا السماء انفطرت * إذا السماء انشقت)، على عكس ما سبق من السور المستخدمة لإذا الداخلة على الجمل الفعلية، وللنحاة في مثل هذه الحالة مذهبان: فمنهم من يعد الاسم بعدها فاعلا لفعل محذوف وجوبا يفسره ما بعده والتقدير: إذا كورت الشمس كورت، قال النحاس: «رفعت الشمس بإضمار فعل مثل الثاني لأن إذا بمنزلة حروف المجازاة لا يليها إلا الفعل مظهرا أو مضمرا»^(٩٤). ومنهم من يعدة مبتدأ والجملة بعده خبرا، جاء في البحر المحيط: «يجوز رفع الشمس على الابتداء عند الأخفش والكوفيين»^(٩٥). أو فاعلا مقدما للفعل الذي يليه^(٩٦). وفروقات ذلك تظهر في التحليل كما سيأتي.

٥- وأنها لم تستخدم التوكيدات -على الرغم من أنها تتحدث عن مسائل غيبية غير مسلمة عند المعاندين من الكفار- كما هو الشأن في نظائرها من السور السابقة الداخلة على جملة فعلية: فسورة (إذا وقعت الواقعة)، استخدمت التوكيد من خلال الجملة المعترضة بين الشرط وجوابه (ليس لوقعتها كاذبة) والتي نزلت منزلة التوكيد من سابقتها، كما استخدم في السورة من خلال ذكر التفصيل بعد الإجمال من خلال قوله تعالى: (إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا...)، وفي سورة الزلزلة (إذا زلزلت الأرض) استخدم التوكيد من حيث ذيلت بالمصدر المضاف على الضمير (زلزالها) لإفادته، والحاجة إلى التوكيد في هذه المواضع ظاهرة؛ لغرابة الأمر

وعند التدقيق نجد أن هذه السورة ونظائرها (أي الداخلة على جملة اسمية) قد استخدمت توكيدا من نوع آخر تحدث عنه البلاغيون تحت عنوان: تقديم المسند إليه لغرض تقوية الحكم وتوكيده، ففي قوله تعالى: إذا الشمس كورت، قدمت الشمس، وتم التأكيد من خلال ذكرها مرتين: مرة بالاسم الظاهر، وأخرى بالضمير، لأن الفعل (كورت) لا بد له من فاعل وهذا الفاعل هو الضمير العائد على الشمس فكأنها ذكرت مرتين، سواء عدناها مبتدأ أم فاعلا لفعل محذوف يفسره ما بعده، قال الجرجاني في الدلائل: «فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تتحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت: (زيد قد فعل)...اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أن المعنى في هذا القصد... أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره أي (الفاعل) وتوقعه أولا ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده (السامع) بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التزديد»^(٩٧). وقال أيضا: «وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له؛ لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام»^(٩٨). أما على اعتبار أنها فاعل مقدم للفعل المؤخر -وهو رأي ضعيف-، فلا توكيد في الجملة، ويكون تقديم الفاعل على الفعل عندئذ مراعاة الفاصلة في السياق. وعليه يقاس في بقية السور. كما أن هذا التقديم قد يفيد التخصيص أيضا؛ وهو إثبات حكم التكوير للشمس ونفيه عن سواها، وحكم الانفطار للسماء ونفيه عن سواها، وحكم الانشقاق لها ونفيه عن سواها أيضا.

٦- أنها تكررت في مطالعها (إذا): فقد ذكرت اثنتي عشرة مرة في التكوير، أربع في الانفطار، ومرتين في الانشقاق، وسر ذلك كما جاء عن المفسرين: التهويل لما في حيزها من الدواهي، وكأن كل مشهد من مشاهدها يستحق أن يكون علامة هول ورعب^(٩٩)، ولاستقلال كل جملة بنوع من القدرة^(١٠٠).

٧- اتحادها في الجواب معنى ولفظا في (علمت نفس ما أحضرت) ومعنى في (علمت نفس ما قدمت وأخرت)، وهذا ما فهمه الرعيل الأول من الصحابة من الخطاب فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر

-رضي الله عنه- لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال: لهذا أجري الحديث»^(١٠١)
على أن هناك معاني أخرى في تعيين الجواب^(١٠٢).

٨- كونها جميعا تتميز بمواصفات القرآن المكي فهي مكية.

٩- تعاقب السور باستثناء دخول المطففين بين الانفطار والانشقاق وسر ذلك التنبيه على شدة عقاب من يطفف ومزيد تبيكيت له.

١٠- أن عنصر التشويق في هذه المطالع يبرز وحده من خلال هذه الصور المرسومة للقيامه باستخدام الشرط فلا يحتاج إلى تعليق أو شرح.

١١- أما مناسبة هذه المطالع لمضامين السور فنجد متلاحما متناغما من خلال ما ذهب إليه كل سورة من مقاصد؛ ففي سورة التكوين نجد مقصدها: «التهديد الشديد بيوم الوعيد الذي هو محط الرحال لكونه أعظم مقام لظهور الجلال لمن كذب بأن هذا القرآن تذكرة لمن ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة»^(١٠٣). فهذه المظاهر الكونية العظيمة دليل على عظمة القرآن وما يتعلق به من سفير أو منزل عليه وهما جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام. أما سورة الانفطار، فقد جاء مطلعها محذرا من الانهماك في الأعمال السيئة اغترارا بإحسان الرب وكرمه ونسيانا ليوم الدين الذي يحاسب فيه على النقيير والقطمير^(١٠٤). أما الانشقاق، فقد جاء المطالع على هذه الصورة للدلالة على أن أهل الطاعة ينعمون وأهل الكفر يعذبون فهي شاققة بين الصنفين^(١٠٥). وإذا كانت هذه المخلوقات الكبيرة مثل السماوات والأرض لا يسعها إلا الامتثال لأمر الخالق سبحانه (وأذنت لربها وحقت) فالأولى بك أيها الإنسان أن تنصاع لربك والشأن انك لا محالة عائد إليه ومصيرك ساعتئذ إما إلى جنة وإما إلى نار.

١٢- أما مناسبة المطالع لخواتيم ما قبلها من السور، فقد بينته كتب التفسير ومن ذلك: «لما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة، ابتدأت هذه (التكوين) بإتمام ذلك فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي العين». وينقل البقاعي عن أبي جعفر بن الزبير قوله: «لما قال سبحانه: (فإذا جاءت الصاخة...) كان مظنة الاستفهام لسائل عن الوقوع ومتى يكون؟ فقال تعالى: (إذا الشمس

كورت...)) ووقوع تكوير الشمس وانكدار النجوم وتسيير الجبال وتعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار المرء من أخيه وأمه وأبيه لاتصال ما ذكر في مطلع سورة التكوير بقيام الساعة فيصح أن يكون إمارة للأول وعلماء عليه»^(١٠٦). وقال المراغي: «إن كليهما (عبس والتكوير) تشرح أحوال يوم القيامة وأهوالها»^(١٠٧).

والناظر في خواتيم سورة التكوير يجد مدى ملامتها ومناسبتها مع مطالع سورة الانفطار فقد نبه -في نهاية التكوير بقوله تعالى: (فأين تذهبون؟)- الكفار بأن مسيرهم على ضلال؛ حيث خرج الاستفهام من معناه الحقيقي إلى التنبيه على ضلالهم^(١٠٨) مما يستدعي تهديدهم ووعدهم لتصحيح المسير، فكان هذا التهديد والوعيد بذكر مطالع سورة الانفطار فقد ورد أن من مقاصد هذه السورة التحذير من الانهماك في الأعمال السيئة اغترارا بإحسان الرب وكرمه^(١٠٩). ومن جهة أخرى إنه لما ختمت التكوير بما يوضح استعلاء المشيئة الربانية على كل مشيئة، جعل التصرف بال مخلوقات العظيمة -وهي مفتتح الانفطار- من فطر السماء ونثر الكواكب وتفجير البحور وبعثرة القبور دليلا على علو مشيئته سبحانه.

أما علاقة مطلع الانشقاق بخواتيم المطففين فقد جاء في خواتيمها أن الأولياء ينعمون وأن الكفار يعذبون وأن ذلك كله كائن إذا السماء انشقت التي تشق بين حال المؤمنين وحال الكافرين^(١١٠).

١٣- مناسبة المطالع للخواتيم من نفس السورة: من متمات براعة الاستهلال، توافر العلاقة بين المطالع والمقطع في النص وهذا ما نجده بشكل واضح في السور القرآنية ذات المطالع الشريطية، ففي سورة التكوير ختمت بقوله سبحانه: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) والعلاقة مع المطالع يكمن سرها في اختيار صفة الربوبية في هذه الآية قال البقاعي: «لما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يخرج شيء عن أمره أتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال (رب العالمين) أي الموجد لهم والمالك والمحسن إليهم والربوبي لهم وهو أعلم بهم منهم، فلأجل ذلك لا يقدرعون إلا على ما قدرهم عليه، ويجب على كل منهم طاعته والإقبال بالكلية عليه سبحانه وتعالى وشكره استمطارا للزيادة، فلهذه الربوبية صح تصرفه في الشمس وما تبعها مما ذكر في أول السورة لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق، والإنصاف بينهم بقطع كل العلائق

كما يفعل كل رب مع من يريبه»(١١١). وفي سورة الانفطار كان الختام في قوله تعالى مفسرا يوم الدين: (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله)، وهذه الآية بمثابة ظرف الزمان لما ذكر في المطلع، وهي إجمال لما فصل من أمر القيامة في الآيات السابقة. وفي سورة الانشقاق المختومة بقوله تعالى في حق الكفار: (فبشرهم بعذاب أليم * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) يفهم منها أن هذا العذاب الأليم للكفار، والأجر غير المنون للمؤمنين كائن إذا انشقت السماء...

الخاتمة:

الناظر في هذه المجموعة المتجانسة المطالع من جهة إحصائية، يجد أنها سبعة، وأنها جميعا تبدئ باستخدام اسم الشرط (إذا) دون غيره من أدوات الشرط، وأن ثلاثة منها مدنية هي: سورة المنافقون وسورة النصر، وسورة الزلزلة (في الراجح)، وما تبقى مكية وهي: سورة الواقعة وسورة التكويد وسورة الانفطار وسورة الانشقاق وأن مطالع السور المكية أطول منها في المدنية، وأن (إذا) دخلت على جملة فعلية في أربعة مواضع: السور المدنية الثلاثة، وسورة الواقعة، بينما كان مدخولها جملة اسمية فيما تبقى من السور المكية، وكل ذلك يعود لاعتبارات أسلوبية في السور وخلاصة ما أمكنني قوله في هذه السور الآتي:

١- توفر هذا العنصر البلاغي المسمى ببراعة الاستهلال وحسن الابتداء في أجمل صورته وأنه لا يتوقف في هذه السور على ربط المقدمة بالعرض فحسب، بل يتعدى ذلك إلى شد انتباه المتلقي بصورة تشويقية لا مثيل لها تشترك في رسمها الكلمات في جرسها الموسيقي المتلائم مع المعاني المطروحة، مع الأخذ بالاعتبار أقدار المتلقين ومراعاة أحوالهم المختلفة؛ فما من متلق تتحقق فيه أهلية التلقي -سواء أكانت هذه الأهلية في مستوياتها الدنيا (أي العوام) أم في أعلى ما يمكن اعتباره (أي العلماء)- يتبادر إلى حواسه هذه الكلمات الربانية إلا وشدت انتباهه وملكت عليه شعوره، بغض النظر عن طريقة التلقي سمعية كانت أو بصرية، أو بهما معا.

٢- بالإضافة إلى براعة الاستهلال في هذه المطالع، نجدها قد صيغت بأسلوب حكيم

يجعل من هذه المطالع عمادة ربط واتصال بين السابق واللاحق مما جاورها من سور القرآن الكريم؛ فهي قابلة للحمل على أي من الوجهين أردت: وجه اعتبار السورة وحدة قائمة بذاتها ذات مطلع ومقطع، أو وجه اعتبار السورة وحدة ولبنة من النسيج القرآني المتكامل.

٣- إن براعة الاستهلال في هذه المطالع، تكمن قدراتها الإشعاعية المؤدية إلى تحصيل الهدف في براعة تشكيلها النحوي والصرفي واختيار الألفاظ لمزاياها الصوتية والمعنى الذي تؤديه في السياق فهو بناء محكم للجمل المستخدمة.

٤- على الرغم من اتحاد كثير من السور ذات المطالع الشرطية بالموضوع العام كالتعبير عن مشاهد يوم القيامة، إلا أننا ندرك وجود دقائق أسلوبية وفروقات دقيقة، وهذا يعني أن النظم القرآني قد يتحد في الشكل لكنه يبدق في الدلالة.

٥- إن هذه السور تشكل كما من النماذج التي تعم بها الفائدة إذا ما حاول أرباب التأليف والكتابة الفنية احتذاءها وعدها المقاييس الدقيقة لحسن الابتداء وبراعة الاستهلال.

وختاماً إذا كنت قد وفقت في طرح هذه الفكرة فله الحمد والمنة.

الهوامش

١- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت: ١٩٨٧م، مادة: برع، ص ٩٠٧.

٢- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. أساس البلاغة، بيروت: دار صادر ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مادة: برع، ص ٣٦.

٣- القاموس المحيط، مادة: هل، ص ١٣٨٥.

٤- أساس البلاغة، مادة: هل، ص ٧٠٥.

٥- مطلوب، د - أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢، لبنان مكتبة لبنان ١٩٩٦م، ص ٢٢٨.

٦- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ١٣٩.

٧- عبد الرحمن، د. نصرت. الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢، عمان مكتبة الاقصى ١٩٨٢م، ص ١٥٠.

- ٨- انظر: ديوان نزار قباني، وديوان عمر بن أبي ربيعة.
- ٩- ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، ط١، القاهرة دار المعارف ص٢٠.
- ١٠- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٢، القاهرة: مؤسسة الخانجي، بلا تاريخ، ج١ ص١١٦ وانظر: ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، ط١، مصر: دار المعارف، بلا تاريخ، ص٢١.
- ١١- شبيب بن شبة بن عبدالله بن الأهم، كان من رهط خالد بن صفوان وكان بينهما منافسة شديدة. انظر: البيان والتبيين، ج١ ص٢٤٠.
- ١٢- الجاحظ. البيان والتبيين، ج١ ص١١٢.
- ١٣- السابق، ج١ ص١١٣.
- ١٤- مطلوب، د - أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢، لبنان مكتبة لبنان ١٩٩٦م، ص٤٩٥.
- ١٥- شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات.
- ١٦- شاعر جاهلي من مدرسة زهير بن أبي سلمى.
- ١٧- المظفر، أبو علي محمد بن الحسن. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، ت د- جعفر الكتاني، بغداد ١٩٧٩م، ج١ ص٢٠٦.
- ١٨- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ص٤٢٨.
- ١٩- السابق ص٤٣١.
- ٢٠- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت. محي الدين عبد الحميد، ط٢، القاهرة ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م، ج١ ص١٦٠.
- ٢١- سورة البقرة: آية ٢١.
- ٢٢- سورة النور: آية ١.
- ٢٣- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ص١٣٧-١٣٩.
- ٢٤- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، بيروت: المكتبة الثقافية ١٩٧٣م، ج٢ ص١٠٦.
- ٢٥- السابق، ج٢ ص١٠٦-١٠٧.
- ٢٦- يتيمة الدهر، الثعالبي ج١ ص١٦١. وانظر معجم المصطلحات البلاغية ص٢٢.
- ٢٧- معجم المصطلحات البلاغية، أحمد مطلوب ص٢٢. وانظر الإيضاح ص٤٣٠.

٢٨- الخفاجي، الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان. سر الفصاحة ط، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٢-١٤٠٢هـ ص ١٨٣. وانظر: الإيضاح، الخطيب القزويني، ص ٤٣٠.

٢٩- سر الفصاحة، ابن سنان ص ١٨٣.

٣٠- الجارم علي، وزميله. البلاغة الواضحة، نشر محمد أمير دمج، ص ١٠.

٣١- ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق، ص ١٣٩.

٣٢- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة ١٣٥٨هـ-١٩٦٩م ج ٢ ص ٩٨.

٣٣- ربيع، د- محمد ربيع. التعبير الوظيفي، ط١، عمان - دار صفاء للنشر ١٩٩١م-١٤١١هـ، ص ٢٧.

٣٤- السيوطي، الإتقان، ج ٢ ص ١٠٥ بتصرف.

٣٥- سورة البقرة: آية ٢.

٣٦- سورة النور: آية ١.

٣٧- سورة الزمر: آية ١.

٣٨- سورة المنافقون: آية ١.

٣٩- سورة الصافات: آية ١.

٤٠- الدهلوي، حجة الله. الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت: دار قتيبة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص ٨٢ بتصرف.

٤١- بشر، د - كمال مجد. علم اللغة العام (الأصوات) مصر - دار المعارف ١٩٨٦م، ص ١٠١ بتصرف.

٤٢- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ج ٢٩ ص ١٤٠. قال الرازي: (ليس لوقعتها) فيه إشارة إلى أنها تقع دفعة واحدة، فالوقعة للمرة الواحدة.

٤٣- السابق ج ٢٩ ص ١٤٠.

٤٤- انظر: ١- الرافي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص ٢، ٢١٥ - القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م ص ٦٤. ٣- زرزور، د- عدنان محمد. علوم القرآن، ط١ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ص ١٤٣.

٤٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، ت محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م، ج ١ ص ٦٥. وانظر: د- النعيمي، حسام سعيد. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م ص ٢٢٧.

- ٤٦- الشنقيطي، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، القاهرة: مطبعة المدني، ج ٧ ص ٧٦١.
- ٤٧- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ج ٢ ص ٢٦٢. وانظر الرازي ج ٢٩ ص ١٤٠.
- ٤٨- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية، ج ٤ ص ١٨-٢٠.
- ٤٩- أدوات الشرط الباقية هي: حرف باتفاق (إن) وحرف على الأصح (إذا) واسم باتفاق (من)، ما، متى - أيان - أين - أنى - حيثما أي) واسم على الأصح (مهما). (و) كيفما، لو، لوما، لولا). انظر: ١- عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤ ص ٤٢١، ط ٣، دار المعارف. ٢- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري. أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، ط ٦، دار الفكر ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ج ٤ ص ٣. ٢٠٤- الجرجاني، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكرت ٣٧١هـ. المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م، ج ٢ ص ١١٨.
- ٥٠- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب، ج ٤ ص ٢٣٢.
- ٥١- السابق ج ٣ ص ٦٠.
- ٥٢- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد. شرح أبيات سيبويه، ت د. محمد علي سلطاني، دمشق، دار المأمون للتراث ١٩٧٩، ج ٢ ص ١١٩.
- ٥٣- حسن، عباس. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف، ج ٤ ص ٤٤ (الحاشية). الحديث أورده البخاري في كتاب الدعوات باب التسبيح والتكبير عند المنام، وتماهه عن أبي ليلى عن علي أن فاطمة شكت ما تلقى في يدها من الرحي فأتت النبي -صلى الله عليه وسلم- تسأله خادما فلم تجده فذكرت ذلك لعائشة فلما جاء أخبرته. قال: فجاءنا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت أقوم فقال: مكانك فجلس بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري فقال: ألا أدلكما ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما أو أخذتما مضاجعكما فكبرا أربعا وثلاثين وسبعا ثلاثا وثلاثين واحدا ثلاثا وثلاثين فهذا خير لكما من خادم. كما أورده في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه. انظر: العسقلاني، الحافظ أحمد بن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي تصحيح محب الدين الخطيب، الرياض: مكتبة المعارف، الحديث رقم ٦٣١٨، ج ١١ ص ١٢٠، والحديث رقم ٣٧٠٥ ج ٧ ص ٧٠.
- ٥٤- الإيضاح، القزويني، ص ٩٣.
- ٥٥- السابق، ص ٩٤.

- براعة الاستهلال في فوائح السور الشريطية يوسف القماز
- ٥٦- قطب، سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٧ بيروت: دار إحياء التراث ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ج ٧ ص ٦٩٢.
- ٥٧- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة، ج ٤ ص ٥١.
- ٥٨- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي. البحر المحيط، ط٢، عمان: دار الفكر ١٩٨٣م، ج ٨ ص ٢٠١.
- ٥٩- الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٩ ص ١٣٩.
- ٦٠- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٦ ص ٢٠١.
- ٦١- سورة الواقعة: الآيات ٨٦-٩٦.
- ٦٢- النحو الوافي، عباس حسن، ج ٤ ص ٤٢١ وما بعدها.
- ٦٣- البيان والتبيين، الجاحظ، ج ١ ص ١١٦.
- ٦٤- هارون، عبد السلام. تهذيب سيرة ابن هشام، منشورات المجمع العربي الإسلامي، ص ٢٣٨ - ٢٤٠.
- ٦٥- الخازن، الإمام علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل دار الفكر، ج ٤ ص ٢٧١.
- ٦٦- الإيضاح، القزويني، ص ٨٩.
- ٦٧- سورة البقرة: آية ١٤.
- ٦٨- انظر: ١- ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧م، ج ٤ ص ٣٩٣. ٢- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، بيروت: دار القرآن ١٩٨١م، ج ٣ ص ٣٨٤.
- ٦٩- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير، بيروت: دار المعرفة، ج ٥ ص ٢٣٠.
- ٧٠- سورة الجمعة: آية ١١.
- ٧١- الحنفي، الإمام تاج الدين. الدر اللقيط من البحر المحيط (على هامش البحر المحيط)، ج ٨ ص ٢٦٩.
- ٧٢- سورة المنافقون: آية ٩.
- ٧٣- السابق، آية ٩-١١.
- ٧٤- الرازي، التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٩.
- ٧٥- الظلال، سيد قطب، ج ٨ ص ١٠٤.
- ٧٦- الدر اللقيط من البحر المحيط، الحنفي، ج ٨ ص ٢٧٥.

٧٧- انظر: ١- مباحث في علوم القرآن، القطان، ص ٦٤. ٢- علوم القرآن، د- عدنان زرزور، ص ١٤٢.

٧٨-الظلال، سيد قطب، ج ٨ ص ٦٣٩.

٧٩- أضواء البيان، الشنقيطي، ج ٩ ص ٤٣١.

٨٠- الرازي، التفسير الكبير، ج ٣٢ ص ٥٨.

٨١- السابق ج ٣٢ ص ٥٩.

٨٢- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨ ص ٥٠٠.

٨٣- السابق، ج ٨ ص ٥٠٠.

٨٤- سورة الزلزلة: آية ٧.

٨٥- البحر المحيط، أبو حيان، ج ٨ ص ٥٢٣.

٨٦- الكشف، الزمخشري، ج ٤ ص ٢٩٣. وانظر: صفوة التفاسير، الصابوني ج ٣ ص ٦١٥.

٨٧- انظر: ١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط ٢، بيروت: دار المعرف ١٩٨٧م، ج ٤ ص ٢.

٦٠٠- البحر المحيط، الأندلسي، ج ٨ ص ٥٢٣.

٨٨- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح ت ٦٧١هـ. الجامع لأحكام القرآن ط ١، القاهرة:

دار الكتب المصرية، ج ٢٠ ص ٢٣٠.

٨٩- سورة الكافرون: آية ٦.

٩٠- البحر المحيط، الأندلسي، ج ٦ ص ٥٢٣. بتصرف.

٩١- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم

والسبع المثاني، قرأه وصححه محمد حسين العرب، بيروت دار الفكر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ١٦

ص ٩٨. (والحديث أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين من الصحابة عن عبد الله بن

عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعدة روايات منها ما لم يذكر فيها (إذا السماء انشقت)

ومنها ما زاد فيها (وأحسبه أنه قال سورة هود). انظر: ١- الشيباني، الإمام أحمد بن حنبل.

المسند: ط دار الفكر، ج ٢٧ ص ٢٧. ٢- معروف، د- بشار عواد وزملاؤه. المسند الجامع

الحديث رقم: ٨١١٦- ٩٥٧ ط ١ بيروت: دار الجيل ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ج ١٠ ص ٧١١. وأخرجه

الترمذي وقال: حديث حسن غريب انظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد

الرحيم. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ضبط وتوثيق محمد جميل العطار بيروت: دار

الفكر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج ٩ ص ٢٠٤، الحديث رقم: ٣٣٢٣ كتاب التفسير، باب ومن سورة (إذا

الشمس كورت).

٩٢- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والصور،

تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ-١٩٩٥، ج ٨ ص ٣٤٨.

٩٣- الطبرسي، الإمام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل. مجمع البيان في تفسير القرآن،. تخريج ابراهيم شمس الدين ط١، بيروت - دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ج ١ ص ٢٢٤.

٩٤- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن، ت د. زهير غازي زاهد ط٢، بيروت عالم الكتب ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، ج ٥ ص ١٥٥. وانظر الطبرسي، ج ١٠ ص ٢١٨، الزمخشري، ج ٤ ص ٢٢١.

٩٥- البحر المحيط أبو حيان الأندلسي، ج ٨ ص ٤٣٢.

٩٦- النحو الوافي، عباس حسن، ج ٢ ص ١٤٤.

٩٧- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م ص ١٦٤.

٩٨- السابق ص ١٦٨.

٩٩- العمادي، الإمام أبو السعود محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ٩ ص ١٢٠. وانظر: البقاعي ج ٨ ص ٣٣٦.

١٠٠- روح المعاني، الألوسي، ج ١٦ ص ١٤٢.

١٠١- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج ٤ ص ٥١٠.

١٠٢- هناك آراء أخرى في تعيين الجواب. انظر: البحر المحيط ج ٨ ص ٤٣٤-٤٤٦.

١٠٣- نظم الدرر، البقاعي، ج ٨ ص ٣٣٥.

١٠٤- السابق ج ٨ ص ٣٤٧.

١٠٥- السابق ج ٨ ص ٣٦٧. بتصرف.

١٠٦- السابق ج ٨ ص ٣٣٥-٣٤٠.

١٠٧- المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، بيروت دار إحياء التراث العربي، ج ٣٠ ص ٥٢. وانظر: مجمع البيان، الطبرسي ج ١٠ ص ٢١٦.

١٠٨- الإيضاح، القزويني، ص ١٣٧.

١٠٩- نظم الدرر، البقاعي، ج ٨ ص ٣٤٧.

١١٠- السابق، ج ٨ ص ٣٦٧.

١١١- السابق، ج ٨ ص ٣٤٦.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم.

- ب-١- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة ١٣٥٨هـ-١٩٦٩م.
- ٢- ابن جني، أبو الفتح عثمان الموصلي، الخصائص، ت محمد علي النجار، ط دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
- ٣- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٤- ابن كثير، الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط٢ بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٧م.
- ٥- ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف الأنصاري. أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك، ط١، دار الفكر ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ٦- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصححه محمد حسين العرب، بيروت دار الفكر ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٧- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي. البحر المحيط ط٢، عمان: دار الفكر ١٩٨٣م.
- ٨- بشر، د. كمال مجد. علم اللغة العام (الأصوات) مصر دار المعارف ١٩٨٦م.
- ٩- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبد الرزاق غالب المهدي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ١٠- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ت محي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- ١١- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني. البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط١، القاهرة: مؤسسة الخانجي.
- ١٢- الجارم علي، وزميلة. البلاغة الواضحة، نشر محمد أمير دمج.
- ١٣- الجرجاني، الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكرت ٣٧١هـ. أ- المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٢م. ب- دلائل الإعجاز، تحقيق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، مصر: مكتبة القاهرة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ١٤- حسن، عباس. النحو الوافي، ط ٤. مصر: دار المعارف.
- ١٥- الحنفي، الإمام تاج الدين. الدر اللقيط من البحر المحيط (على هامش البحر المحيط).
- ١٦- الخازن، الإمام علاء الدين علي بن محمد، لباب التأويل في معاني التنزيل دار الفكر.
- ١٧- الخفاجي، الأمير أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان. سرالفصاحة ط١، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م-١٤٠٢هـ.

- ١٨- الدهلوي، حجة الله. الفوز الكبير في أصول التفسير، بيروت: دار قتيبة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ١٩- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط٢ بيروت دار إحياء التراث.
- ٢٠- الرافعي، مصطفى صادق. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٢١- ربيع، د- محمد ربيع. التعبير الوظيفي، ط١، عمان - دار صفاء للنشر ١٩٩١م-١٤١١هـ.
- ٢٢- زرزور، د- عدنان محمد. علوم القرآن، ط١ بيروت: المكتب الإسلامي ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٢٣- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر ١- حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار المعرفة ٢- أساس البلاغة، بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ٢٤- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر. الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت: عالم الكتب.
- ٢٥- السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد. شرح أبيات سيبويه، ت د. محمد علي سلطاني، دمشق، دار المأمون للتراث. ١٩٧٩م.
- ٢٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، بيروت: المكتبة الثقافية.
- ٢٧- الشنقيطي، الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، القاهرة: مطبعة المدني.
- ٢٨- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير، بيروت: دار المعرفة.
- ٢٩- الشيباني، الإمام أحمد بن حنبل. المسند: ط دار الفكر.
- ٣٠- الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير، بيروت: دار القرآن ١٩٨١م.
- ٣١- الصبان، محمد بن علي. حاشية الصبان على شرح الأشموني، مصر: دار إحياء الكتب العربية.
- ٣٢- ضيف، شوقي. البلاغة تطور وتاريخ، ط١، القاهرة دار المعارف.
- ٣٣- الطبرسي، الإمام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل. مجمع البيان في تفسير القرآن.. تخريج إبراهيم شمس الدين ط١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٣٤- عبد الرحمن، د. نصرت. الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢، عمان مكتبة الأقصى.
- ٣٥- العسقلاني، الحافظ أحمد بن حجر. فتح الباري في شرح صحيح البخاري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي تصحيح محب الدين الخطيب، الرياض: مكتبة المعارف.
- ٣٦- العكبري. أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

براعة الاستهلال في فوائح السور الشريفة يوسف القماز

٣٧- العمادي، الإمام أبو السعود محمد بن محمد. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ط٤، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٨- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط ٣ بيروت: ١٩٨٧م.

٣٩- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

٤٠- القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن، ط٧، بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٤١- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح. الجامع لأحكام القرآن، ط١، القاهرة: دار الكتب المصرية.

٤٢- قطب، سيد قطب. في ظلال القرآن، ط٧ بيروت: دار إحياء التراث ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٤٣- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم. تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، ضبط وتوثيق محمد جميل العطار بيروت: دار الفكر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٤٤- معروف، د- بشارعواد وزملاؤه. المسند الجامع، ط١ بيروت: دار الجيل ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٤٥- المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي، بيروت - دار إحياء التراث العرب.

٤٦- مطلوب، د- أحمد مطلوب. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط٢. لبنان، مكتبة لبنان ١٩٩٦م.

٤٧- المظفر، أبو علي محمد بن الحسن. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، ت د- جعفر الكتاني، بغداد ١٩٧٩م.

٤٨- النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل. إعراب القرآن، ت د- زهير غازي زاهد ط٢، بيروت عالم الكتب ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٩- النعيمي، حسام سعيد. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.

٥٠- هارون، عبد السلام. تهذيب سيرة ابن هشام ، منشورات المجمع العربي الإسلامي.

تم بحمد الله ومنه.